عذرية المرأة في المجتمع المغربي، بين التربية الجنسية والقيمة الاجتماعية واستقلال الجسد

أ. وسام الغزاوي، باحثة في سلك الدكتوراه، جامعة ابن الطفيل، القنيطرة– المغرب

تاريخ الإرسال: 2023/08/20 تاريخ القبول: 2024/03/10

الملخص: يروم هذا المقال تسليط الضوء على موضوع يكتسي أهمية في الدراسات الجندرية والجنسانية في حقل السوسيولوجيا وهو موضوع " العذرية"، الذي يغلب عليه طابع الحساسية من حيث التناول المعرفي والعلمي، فهو يعد من الطابوهات غير منفصلة عن موضوع الجنس. ونسعى من خلاله إلى إبراز قيمة العذرية لدى المغاربة بشكل عام والشباب بشكل خاص، باعتبارها مدخلا للتعرف على الجنسانية الشبابية في المغرب، وذلك بالتركيز على علاقتها بالتربية الجنسية التي تتلقاها الفتاة، وباستقلالها الجسدي، في ظل التغيرات الاجتماعية والقانونية والثقافية، التي عرفها ويعرفها المجتمع المغربي.

الكلمات المفتاحية: عذرية المرأة، العذراء، التربية الجنسية، القيمة الاجتماعية، استقلال الجسد.

Woman's Virginity in the Moroccan Society: Sexual Education, the Social Value, and Body Independence.

Ouissame Laghzaoui, Ibn Tofail University kenitra, Morocco

Abstract : This article focuses on virginity as an important issue in gender and sexual studies within the sociology framework. The issue of virginity is considered a sensitive critical subject in terms scientific investigation, because it is one of the sexually linked taboos. This article aime is to investigate the value of virginity in the Moroccan context generally and specifically the Moroccan young people to be able to discover the youthful sexuality in Morocco. We would focus also on the value of virginity in relationship with the sexual education that Moroccan girls receive and their body independence and freedom during the recent social, legal and cultural changes in Moroccan society.

Key Words: Woman's Virginity , Virgin, Sexual Education, The Social Value, Body Independence.

مقدمة:

يعد موضوع العذرية من المواضيع القديمة التي لم ينتهي تاريخ صلاحيتها لليوم، فقد يعتقد العديد منا أن الحديث عن العذرية في ظل التغيرات التي عرفها المجتمع المغربي على جميع المستويات، هو حديث عن شيء فقد قيمته وتأثيره و رمزيته، لكن الملاحظ للواقع ولسلوكات الافراد يتبين له عكس ذلك. فالتربية التي تلقتها ولا تزال العديد من الفتيات والتي تشدد بشكل كبير على الحفاظ على العذرية، والعلاقات الرضائية في صفوف الشباب والشابات، والتي تقوم في الغالب على اتفاق يخول للفتاة حفاظها على عذريتها أو ما يسمى بالعذرية التوافقية[1]، و اللجوء إلى الجنس الافتراضي، واللجوء لعمليات رأب غشاء البكارة ... وغيرها من السلوكيات التي تبين أنه حتى مع هذا الانفتاح الظاهر، هناك تباين في المواقف حول العذرية وقيمتها في المجتمع المغربي.

إن قيمة العذرية لا ترتبط بالمجتمع المغربي أو بالمجتمعات العربية أو الإسلامية فحسب، فحتى في الدول الغربية لا تزال رمزية العذرية حاضرة عند بعض الفئات، رغم أن العلاقات الجنسية الرضائية مباحة، والحرية الجنسية والحق في الجنس يعتبر أمرا طبيعيا، وتعد "مراسم المنديل" التي لا تزال موجودة في المجتمع الغجري الكاتالوني بجنوب فرنسا، أحد الأمثلة على ذلك. هذا بالإضافة إلى اختبار العذرية الذي لايزال يقام في العديد من البلدان الأجنبية، كما في دول شمال افريقيا والدول العربية والإسلامية. وهذا يبين أن الاهتمام بالعذرية الأنثوية، لا يقتصر على الثقافة المغربية أو العربية والإسلامية فحسب، بل إنها تحظى باهتمام العديد من الثقافات والديانات، و يشكل هذا الاهتمام أحد أبعاد العلاقة بين الجنسين ومكون من مكونات الرابطة الاجتماعية.

[1] مصطلح أطلقه عبد الصمد الديالمي على العلاقة الجنسية التوافقية التي يكون فيها اتفاق بين الرجل والمرأة للحفاظ على غشاء البكارة سليما.

إن محاولة فهم العذرية في المجتمع المغربي باعتباره موضوعا طابو مرتبط بالجنسانية قبل الزوجية للشباب، يجب أن ينطلق من الواقع. ذلك أنه لفهم نظرة المجتمع للعذرية، والتساؤل حول رمزيتها وقيمتها، يجعلنا لا نأخذ تحريم القانون للجنس خارج إطار الزواج بمعنى أن الشباب لا يمارسون علاقات جنسية رضائية في المجتمع المغربي، كما أن وجود هذه العلاقات لا يعني بالضرورة تخلي الشباب عن إعطاء قيمة للعذرية. هذا التشابك والتعقيد الذي يعرضه هذا الموضوع يدفعنا لطرح العديد من التساؤلات التي سنحاول من خلال هذا المقال فهم أغوارها وخفاياها، وعليه، و لتوضيح مشكل الدراسة يمكننا طرح سؤال جوهري على الشكل التالي:

هل للعذرية الأنثوية قيمة في المجتمع المغربي، وما تأثير التربية الجنسية التي تتلقاها الفتاة المغربية، و التغيرات التي عرفها المجتمع على قيمة العذرية و على استقلال الجسد الانثوي؟

يتفرع عن هذا السؤال العديد من الأسئلة يمكن صياغتها على الشكل التالي: هل يعطي الشباب قيمة للعذرية رغم التغيرات التي عرفها ويعرفها المجتمع المغربي؟ هل للتربية التي تتلقاها الفتاة تأثير على استمرار ربط العذرية بالشرف والعفة؟ هل يعكس السلوك الجنسي للأفراد تمثلاتهم حول العذرية، أم أنه يتعارض ويتناقض معها؟ هل يمكننا أن نتحدث اليوم عن استقلال الجسد الأنثوي أم أن ربط العذرية بالشرف والعفة يجعل منه جسدا مملوكا وخاضعا لسلطة العائلة والمجتمع؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه دراسة في أنها تتناول موضوع " العذرية" الذي لا يزال موضوعا "طابو" في المجتمع المغربي، وذلك من خلال التساؤل حول قيمتها، وتأثير التربية الجنسية التي تتلقاها الفتاة منذ الصغر على هذه القيمة، وعلاقة ذلك باستقلال الجسد الانثوي في ظل التغيرات التي عرفها مجتمعنا، وهو تناول في غاية الأهمية لكونه يروم إلى فهم الجنسانية الشبابية المغربية بشكل عام والجنسانية النسائية بشكل خاصة.

أهداف الدراسة: نسعى من خلال هذا المقال إلى دراسة و فهم موضوع العذرية الذي قد يبدو للوهلة الأولى موضوعا مستهلكا أو متجاوزا، لكنه ذو أهمية كبيرة وله تأثير على القيم والتمثلات

الاجتماعية، كما أنه يبقى مدخل مهما يمكننا من خلاله فهم الجنسانية الشبابية المغربية، وعليه يمكن أن نصوغ أهم الأهداف على الشكل:

-رصد تاريخي للعذرية، وفهم كيفية تشكل رمزيتها وقيمتها عند اليونان وفي الديانات كالمسيحية والإسلام.

-معرفة دور وتأثير التربية الجنسية التي تتلقاها الفتاة على قيمة ورمزية العذرية في المجتمع المغربي.

-محاولة التعرف على قيمة ورمزية العذرية لدى الشباب المغاربة.

-التعرف على علاقة العذرية بالجسد الانثوي.

أولا. العذرية التأطير المفاهيمي والسياق التاريخي:

1. تحديد المفاهيم :

العذرية: تترجم كلمة "العذرية" في اليونانية إلى parthénia، وفي اللاتينية إلى virginitas. وتترجم كلمة "عذراء" إلى parthénos و virgo (Yvonne Knibiehler, 2012, p. 7). والعذرية تعني الامتناع عن ممارسة الجنس، ويرتبط مفهوم العذرية أولا وقبل كل شيء بالطهارة الجنسية ونقاء الجسد (Kuo-jung Chen, 2010, pp. 75-96). فالفتاة العذراء هي الفتاة التي لم يسبق لها أن مارست الجنس من قبل. لكن يبقى من الصعب تحديد مفهوم العذرية بشكل كامل، ذلك أنه مفهوم يتأثر بالوضع الاجتماعي والثقافي والديني، كما أن هذا المفهوم عرف تطورا كبيرا بسبب التغيرات التي شهدها العالم في نظام القيم.

التربية الجنسية: تعرفها الأمم المتحدة للتربية والثقافة بأنها نهج للتعليم عن الجنس والعلاقات الجنسية يناسب الفئات العمرية والخصائص الثقافية المعنية، ويجري فيه تقديم معلومات علمية دقيقة واقعية وخالية من الأحكام (يونسكو، 2010).

تقوم التربية الجنسية بالأساس على" اكتساب معارف بيولوجية علمية، لكن المعارف وحدها غير كافية، إذ هناك قيمتان كبيرتان ينظم حولهما السلوك الجنسي المربىّ، وهما المساواة بين

الجنسين، وفك ارتباط الجنس بالزواج، والإنجاب من جهة أخرى" (عبد الصمد الديالمي، 2011، ص 150). و" تركز التربية الجنسية أيضا على طبيعة وقيمة علاقاتنا مع الآخرين، و الشعور بالحميمية وقبول الجنسانية في جميع آثارها :البيولوجية، النفسية، الاجتماعية و الأخلاقية" (philippe brenot , 1996, p. 3).

الجسد: الجسد معطى أولي، إنه موضوع يشكل منبع الحياة والحركة والفعل والوعي، وهو مكتسب قبلي سابق على كل روح. باعتباره معيارنا الأول في الوجود، فهو يشكل مركز الكون ومقاسه الضروري (فريد الزاهي، 1999، ص 27). فالجسد أداة وفضاء اتصال ومعنى على حد سواء: أداة اتصال عندما يرسل عن قصد إشارات في حالة من تنسيق الاجراءات، وفضاء للمعنى عندما يمنح للآخرين إمكانية قراءته، من خلال الملابس، والحلي، والندوب (Les scarifications)، والعلامات والرموز (Jean Michel Berthelot, 1998, pp. 8-18).

وعليه يتضح لنا، أن هذه المفاهيم تتقاطع وتتداخل فيما بينها، فإذا كانت التربية الجنسية تشكل المواقف والمعارف حول الجنس و العلاقات بين الجنسين ، و تؤثر في تبني التمثلات و القرارات حول العذرية وقيمتها ورمزيتها، وتشكل وتعزز الوعي بالجسد، فإن الجسد يعد وسيلة تتجلى من خلالها التجارب الجنسية التي ترتبط مفاهيم العذرية بها. و تعبر هذه المفاهيم عن تجربة الانسان الجنسية، التي تتشكل، بالإضافة للتربية، من خلال البيئة الاجتماعية والثقافية والدينية التي ينتمي إليها الفرد.

2. العذرية في الحضارات والديانات:

العذرية عند اليونان :

لبلورة الأفكار المتعلقة ببارثينيا (parthenia)، في اليونان، لابد من الوقوف عند ثلاثة جوانب ترتبط بوضع المرأة في العلاقة الجنسية وهي: اللغة والجسد والوضع الاجتماعي، فالمصطلحات اليونانية المتعلقة بالعذرية متعددة ومختلفة ومهمة للغاية على الرغم من أننا نجد خلطا حقيقيا بين

parthenus، parthenia، pseudo-parthenos، parthenios، parthenias. حيث يمكن للمرأة في الفعل الجنسي أن تحافظ على بارثينيا (العذرية)، أو أن تفقدها، وبهذا فالبارثينيا يفترض أن تكون ذات صفة جنسية، وليست مجرد وضع اجتماعي (Giulia Sissa, 2013, pp. 67-123).

ارتبطت العذرية بالأساطير اليونانية الكلاسيكية، حيث نجد أن الآلهة العذراء الثلاثة كانت أساسا لتشكيل المفهوم الغربي للعذرية. فأثينا بارثينوس يعني حرفياً أثينا العذراء، غير أن عذرية أثينا ليست جنسية كما هو الحال مع عذرية أرتميس، إلهة العذرية للفتيات قبل الزواج، وإلهة النساء في ولادتهن (Kuo-jung Chen, 2010, pp. 75-96).

لم يتم التعرف على العذرية الأنثوية في اليونان القديمة بذلك الغشاء الرقيق، بالرغم من أن كلمة غشاء البكارة hymen يونانية الأصل، فالأطباء الفترة الكلاسيكية أرسطو وجالينوس لم يكونوا على علم بوجوده، والأمر نفسه مع سورانوس Soranos[2] من إفيسوس، الذي نفى صراحة وجوده الفسيولوجي، فبالنسبة له إنه الغشاء الذي يعيق العضو الجنسي للفتيات الصغيرات، ويجب استئصاله (Giulia) Sissa, 1984, pp. 1119-1139). لكن لضمان عذرية الفتيات كان يتم التركيز على السيطرة والوصاية عليهن، وهو ما يتضح من خلال تأكيد أرسطو على ضرورة الوصاية وتشديد السيطرة على الفتاة المراهقة لتجنب تمتعها بمتعة أفروديت Aphrodite[3] وحماسها الجنسي " (Giulia Sissa, 2013).

إن مبدأ اعتدال جنسي صارم، هو مبدأ لا يؤرخ بالمسيحية حسب فوكو، ولا بالعصر القديم المتأخر، ولا حتى بالحركات المتشددة التي عرفت مع الرواقيين...، بل إن السلوك الجنسي تشكل في الفكر اليوناني كميدان للممارسة الاخلاقية (فوكو، 2012، ص 234). وعليه يتضح لنا أن تأريخ العذرية كمفهوم ظهر في العديد من الثقافات والحضارات قبل ظهور المسيحية، و ارتبط

[2] طبيب ميثودي methodist ، نشط في روما في بداية القرن الثاني الميلادي.

[3] إلهة الحب والجمال والنشوة الجنسية عند اليونان.

في الفكر اليوناني بالآلهة والأساطير، وتأثر في تشكله بفلاسفة اليونان، ويتجلى ذلك بربط العذرية بالأخلاق والفضيلة، كما أن العذرية استعملت في تلك الفترة وبعدها كوسيلة للسيطرة على العفة الاجتماعية و وسيلة للسيطرة على الجنس.

العذرية في المسيحية:

تعتبر العذرية في الديانة المسيحية سبيلا للقداسة والعفة، وقد ارتبطت بالسيدة العذراء أم المسيح مريم، إنها العذراء التي تلد، وهي النموذج المثالي للعذارى الذين لا يلدون، هذا الطرح يعرف احتمالين متناقضين: فمن ناحية يمكن لجسم الطفل أن يمر عبر جسم العذراء بدون فقدانها للعذرية، ومن ناحية أخرى، يضع تدخل الذكر حدا لبارثينيا (العذرية). لمواجهة هذا التناقض "اللغز" يلجأ المسيحيون إلى الأساطير اليونانية، أو إلى مثال باسيليوس القيصري (Basile de Césarée) الذي ينسب إليه مطبوعة هامة عن العذرية الحقيقية، لنموذج للحمل بلا دنس la conception immaculé، كالنسور التي يعلم علماء الحيوان جيدا، أنه يتم تخصيبها عن طريق الرياح (Giulia sissa, 1987).

لقد تولت الكنيسة ورجال الدين التحكم في الحياة الأخلاقية للمؤمنين (باستثناء النشاط الجنسي للمتزوجين لكونها الممارسات الوحيدة التي تسمح بالإخصاب)، وذلك بهدف منع النشاط الجنسي (Michel bozon, 2013, p. 14). و مع نهاية القرن الأول الميلادي، ظهر المتصوفون والعذارى، الذين كرسوا أنفسهم لله وعاشوا حياة العفة والمثالية مع عائلاتهم، أو في منازل معزولة، سعيا منهم لبناء المجتمعات المسيحية (Jean Chrysostome, 1966, p. 12).

بعيدا عن الفضيلة الأخلاقية، كانت العذرية موضوع التجلي الحقيقي في الديانة المسيحية، لقد تم إضفاء الطابع المثالي عليها باعتبارها الطريق الأكثر مباشرة للوصول إلى القداسة بالنسبة للرجال والنساء. في الوقت نفسه، نظرا لأنها تسمح للفتيات برفض الزواج العادي، وذلك من أجل تكريس أنفسهن لله، فإن المسيحية تبتكر على وجه التحديد الحرية الأنثوية والتعالي (Yvonne Knibiehler، 2012، p. 11). فلتكون العذراء parthenia جديرة بالثناء في نظر

الكنيسة، يجب أن تُترجمَ اختيار التنازل، فالفتاة التي تريد أن تبقى عذراء يجب أن تقتنع أولا بقيمة الزواج، وتعتقد أنه يمثل طريقة حياة يباركها الله (Giulia sissa, 1987, p. 98).

لقد أعلت المسيحية من قيمة ومكانة العذرية، إذ لم تدعوا ديانة إلى التعفف مثلما فعلت المسيحية، لدرجة أنها كانت تعتبر كل نشاط جنسي دنسا، فحتى الزواج كان يعد شرا لابد منه لأنه الوسيلة الوحيدة للإنجاب والتكاثر. لهذا كان اختيار البتولية وعدم الزواج أعلى مراتب القداسة لأنه يسمح للراهب أو الراهبة بتكريس حياته لله و البعد عن كل الملهيات.

العذرية في الإسلام:

يختلف التصور المسيحي الذي يعاني الفرد جرائه تمزقا مأساويا بين النقيضين: الخير والشر، الجسد والروح، الغريزة والعقل، اختلافا بينا عن التصور الإسلامي. فالفرد في النظام الإسلامي غير مجبر على التخلص من غرائزه أو التحكم فيها مبدئيا، بل المطلوب منه هو ممارستها تبعا لما تفرضه الشريعة فحسب (فاطمة المرنيسي، 2005، ص 11).

لم يقلل الإسلام كما المسيحية من شأن عذرية المرأة، إلا أنه لم يستنكر الشهوانية التي تكون في إطار الزواج، فالزواج في الإسلام يُغني عن الوقوع في الحرام " هن لباس لكم وأنتم لباس لهن" (سورة البقرة الآية 187). فالإسلام يعطي للعذرية مكانة من خلال تحريمه للجنس خارج إطار الزواج، ويحث كل من المرأة والرجل على التعفف من خلال الزواج.

يعطي القرآن للجنس معنا اجتماعيا عند إشارته للثنائي الأول (أدم و حواء)، فحسب بوحديبة فالمجتمع يجب أن ينظم العلاقات الجنسية بقدر ما تعنيه الممارسة الفعلية، لأن الجنس علاقة اجتماعية في الأصل (عبد الوهاب بوحديبة، 2001، ص 35). لهذا يرفض الإسلام بشدة اتباع أساليب شاذة لإشباع الرغبة الجنسية، لأنها تعمل في أطر مخالفة لتآلف الجنسين، ولذلك يعتبرها أنماطا فاسدة غير متفقة ومنهج الحياة وفطرتها، تدفع الإنسان إلى مغاليق اللبس والغموض، لتؤدي في النهاية إلى تخريب النظام الكوني بأسره (عبد الوهاب بوحديبة، 2001، ص 64).

بالرغم من أن القيام بعلاقة جنسية خارج إطار الزواج معصية لله في الإسلام، إلا أن فقدان المرأة للعذرية ليس أمرا خاصا بالدين، فالوقوع في "الزنا" بين رجل وامرأة في الخفاء لا يترتب عنه عقاب، حتى أن الفقهاء يوصون كل من وقع في "الزنا" بالتستر والتوبة، لكن عندما يتم القيام ب"الفاحشة" في العلن أو بوجود شهود، يجب إقامة الحد لمنع إعادة الوقوع فيها. لذلك فإن عذرية المرأة يعد أمرا اجتماعيا كما للجنس معنا اجتماعيا، إذ تحولت العذرية من قيمة دينية تعبر عن صلاح المسلمة وعفتها، إلى قيمة اجتماعية ورمزا لشرف العائلة أمام المجتمع (القبيلة، العائلة، الجيران...).

ثانيا. العذرية بين التربية الجنسية والقيمة الاجتماعية:

1. التربية الجنسية للفتاة المغربية:

إن حضور التربية الجنسية كجزء من تربية الفتاة داخل الأسرة المغربية غالبا ما يرتبط بمسألتين: البلوغ (الحيض) والعذرية (الحفاظ على غشاء البكارة سليما)، وتتعرف الفتاة في الغالب على بعض المعلومات المتعلقة بالبلوغ من أمها أو أختها أو من قريباتها، إما بشكل مباشر عند اقترابها من سن البلوغ، أو من خلال الاستماع لأحاديث النساء حول هذه المواضيع. أما فيما يخص المعلومات التي لها علاقة بالعذرية، فتحصل عليها الفتاة بالتدريج، إذ يتم منذ الصغر تحذيرها من اللعب مع الذكور، أو من السماح لأحد أن يكشف جسدها أو يقترب من أعضائها التناسلية، هذه المعلومات التي تمرر من قبل الأمهات أو القريبات غالبا ما تتم بطريقة تتسم بالترهيب والتخويف أكثر من التعليم والتوعية، حتى أن هناك فتيات تختلط عليهن بعض هذه المعلومات لدرجة أن منهن من تعيش صدمة عند رؤيتها لدم الحيض أول مرة، ظنا منها أنها فقدت عذريتها.

تلعب الأمهات دورا كبيرا ومحوريا في تقديم التربية الجنسية، غير أن المعلومات التي تحصل عليها الفتيات الصغيرات، تبقى محدودة جدا، خاصة من قبل الأمهات غير المتعلمات لعدم معرفتهن بها، أو لعدم وعيهن بأهميتها، أو لاعتقادهن أنها تشجع الفتيات على ممارسة الجنس،

كما أن معظم المعلومات التي يتم تناقلها وتبادلها بين الأمهات والبنات هي معلومات مغلوطة أو مشوهة، من قبيل أنه لا يجب الاستحمام خلال الدورة الشهرية، أو القول بإمكانية فقدان الفتاة لغشاء البكارة من خلال الركض أو ركوب دراجة هوائية أو ركوب الخيل...

أما فيما يخص دور الأباء في تربية الفتاة جنسيا، فهو غائب، كما يقول الديالمي، ذلك أنه يصعب جدا أن نطلب من الأب أن يقوم بتربية جنسية، لأنه لا يؤمن بقيمها المؤسسة من جهة، ولا يمتلك المعرفة الوضعية الموضوعية المؤسسة لهذه التربية الجنسية من جهة أخرى، حتى الأب الجديد المتفتح يقول مثلا نعم لتربية جنسية، لكن أنا كأب لا يمكن أن أفاتح ابنتي في هذه المسائل (عبد الصمد الديالمي، 2015، ص 202).

إن تربية الفتاة في المجتمعات التقليدية يجعل منها مشروعا للزواج، و يشكل الزواج في المنظور الشعبي علامة فارقة في حياة المرأة. إذ يبقى هاجس التنشئة الاجتماعية في الأوساط التقليدية هو إعداد البنت للاضطلاع بمسؤولية الزوجة وربة البيت، وللحفاظ بعد ذلك على هذا الدور باعتباره امتيازا.(فوزي بوخريص، 2016، ص 64).

وبالتالي فالتربية التي تتلقاها الفتاة المغربية تركز بالأساس على اعدادها لتكون زوجة، وعلى تجنبها الدخول في أي علاقة جنسية قبل الزواج بأي وسيلة ممكنة (التشديد، التخويف، التهديد، اللوم...)، وتقتصر على مستوى تقديم معلومات حول الصحة الجنسية والانجابية، على معلومات محدودة حول الدورة الشهرية، لا ترقى لتقديم تربية جنسية سليمة وآمنة، تمكن الفتيات من حماية صحتهن، وبناء مفهوم إيجابي عن أنفسهن وأجسامهن يعزز صحتهن النفسية والجنسية، بالتالي مساعدتهن على تطوير قيمهن الأخلاقية تمكنهن مستقبلا من تقديم تربية آمنة لأطفالهن.

قيمة العذرية في المجتمع المغربي :

يكتسب مفهوم العذرية من منظور أنثروبولوجي أو اجتماعي ثقافي أهمية كبيرة، ذلك أنه يمتد من إرادة شخصية فردية، إلى واقع اجتماعي ثقافي، مزود بقيم أبوية ومرجعيات ثقافية لها رمزية. فعذرية الفتاة لا ترمز إلى شرف الفتاة وحدها بل يتعداها إلى شرف الأسرة بل حتى شرف المجتمع. لذلك فإننا عندما نتحدث عن البكارة باعتبارها دليلا لوجود العذرية من منظور العديد من الثقافات، نجد أنها تبدو كشيء خاص بالرجال كما تقول المرنيسي، حيث لا تلعب المرأة إلا دور وسيط صامت، فهي كشرف تعبير عن اهتمام رجالي (فاطمة المرنيسي، 1982، ص 67). وعندما يتعلق الأمر بعذرية المرأة الزوجة، فإن عذريتها لا تعتبر كدليل على الشرف فحسب، بل تبقى ضرورية ليضمن الرجل أنه ليس لها أي ذكرى عن ممارسة الجنس مع رجل آخر، وهذه نتيجة مباشرة كما يقول "فرويد" للحق في ملكية المرأة، وهي جوهر الزواج الأحادي (Sigmund Freud، 1933).

لا يقتصر الحفاظ على عذرية الفتاة على المراقبة والتهديد والتخويف فحسب، بل يتعداه إلى اللجوء للسحر لضمان أنه لن يكون لها أي اتصال جنسي قبل الزواج، حيث كان يستعان في الثقافة المغربية بما يسمى "التقاف" للغاية نفسها التي يستعمل فيها التعقيم (خياطة حقيقية بدون تخدير في شروط صحية سيئة) في بعض المجموعات العرقية في إفريقيا السوداء (سمية جسوس، 2011، ص 203). حيث تقوم بعض النساء حسب وعيهن البسيط في بعض الأوساط التقليدية بالقيام بعملية الربط (التقاف، التصفيح) لبناتهن لكي تبقين عذراوات إلى حين الزواج، لاعتقادهن أن هذه العملية تمنع الفتاة من منح نفسها لأي رجل، و تمنع أي رجل من الاقتراب منها، ولا يفك هذا السحر حسب اعتقادهن إلا بحضور من عمله، أو باللجوء إلى ساحر مختص في هذه الأعمال.

ونظرا لأهمية غشاء البكارة في تقييم المجتمع للفتاة وفي نظرة الفتاة لذاتها، يشكل فقدان البكارة حدثا تاريخيا في السيرورة الاجتماعية والنفسية للفتاة، إنه الحدث الذي يقودها إلى تحقير جسدها وذاتها، فغشاء البكارة ليس مجرد عضو جسدي صامت، إنه عضو محمل برمزية فخرية تجعل منه أساس الصورة الإيجابية عن الذات لدى الفتاة (عبد الصمد الديالمي، 2011، ص 75).

إن الصورة التي تجعل من فقدان غشاء البكارة تحطيما لقيمة الفتاة الاجتماعية ولفرصها في الزواج، و التناقض بين منطق القانون والمجتمع، الذي يحمل المرأة وحدها كامل المسؤولية في ما ينتج عن العلاقة الجنسية، هو ما يفسر رد فعل المرأة الأناني القائم على الخداع و الغش والكذب، من خلال ترميم غشاء البكارة عن طريق عملية جراحية أو من خلال الاستعانة بالبكارة الاصطناعية. و تبقى هذه الوسائل التي تقوم على الغش والكذب والخداع مسيئة ومذلة سواء للمرأة التي تلجأ لها لتخفي تجاربها الجنسية السابقة، أو للرجل الذي يستهلكها بدون علمه، وحتى للزواج الذي تنتج عنه.

تختلف قيمة العذرية من مجتمع لآخر و من ثقافة لأخرى، بل حتى من داخل نفس الثقافة، فإذا منحت العذرية قيمة دينية وثقافية في المجتمع المغربي قديما، ولا يزال في بعض الأوساط، و جعل منها رمزا للعفة والشرف، فإن القبائل الزمورية لم تمنحها كل تلك القيمة. فكما جاء في دراسة مارسي zemmour» «le droit coutumier كان العرف يسيطر على الشرع في هذه القبائل، حيث كانت تعرف " المعاشرة الحرة". فالعلاقات الجنسية ما قبل الزوجية لم تكن تنال سخط القبيلة والأقارب. والقليل من الفتيات فقط من كن يحافظن على البكارة إلى حدود ليلة الزفاف، ففقدان البكارة لا يعني سوى انخفاض الصداق (عبد الصمد الديالمي، 1985، ص 36).

تختلف المواقف حول العذرية وتتباين لليوم، فإذا ارتبطت العذرية في المجتمعات القديمة بأعراف وتقاليد القبيلة، فهي في المجتمعات الحديثة تختلف وتتباين، حسب اختلاف وتباين المعتقدات الشخصية، الفئات العمرية، والمستوى التعليمي، بل حتى على المستوى نوع الجنس، إذ تعطي النساء أهمية للعذرية أكبر مقارنة مع الرجال، (عزيز مشواط وأخرون، 2021، ص 25-26). ويعود هذا التمسك بقيمة العذرية لدى غالبية الفتيات إلى أسباب متعددة، من بينها: التربية التي تتلقاها أغلبهن منذ الصغر والتي تعمل على توجيههن إلى الحفاظ على العذرية بأي وسيلة ممكنة (التخويف، التهديد، اللوم...)، بالإضافة إلى أن الفتيات هن من يتحملن تبعات فقدان العذرية على المستوى النفسي والصحي والاجتماعي.

ثالثا: العذرية واستقلالية الجسد

1. الجسد الانثوي المقيد:

هناك غياب لكلمة تدل مباشرة على الجسد في اللغة الدارجة" (معادي زينب، 2004، ص 177)، إذ لا يوجد مقابل في الدارجة أو في الأمازيغية لهذه الكلمة، و كل ما هناك كلمات لها معاني مختلفة تعبر عن الجسد مثل "ذات"، "عظام"، "زبطة"، أو "صحة"...، وحتى في الأمازيغية يتم الاستعانة بكلمة الصحة فيقال "صحثينو" للدلالة على الجسد.

إن غياب كلمة تدل على الجسد في الدارجة أو في الأمازيغية لا يعني غيابا للجسد، خاصة الجسد الأنثوي الذي غالبا ما يحضر في بعده القيمي باعتباره مغري و فاتن، يجب السيطرة عليه وضبطه من خلال تربية تقليدية تركز على التقييد والتخويف، وهو ما يظهر جليا عبر مجموعة من السلوكات التي تتبناها الفتيات خاصة في مرحلة المراهقة (جمع الأرجل عند الجلوس، انحناء الظهر عند بروز الثديين...)، كما أن تداول بعض المعلومات في الثقافة الشعبية المغربية (القفز من أماكن مرتفعة، أو ركوب الخيل أو الدراجة الهوائية قد يتسبب في فقدان البكارة)، يحد من نشاط وحتى لعب الفتيات الصغيرات، وبذلك يجعلهن أسيرات في جسد يتم تقييده والسيطرة عليه منذ الصغر.

يعرف الجسد الأنثوي إذن منذ أن تظهر عليه معالم الأنوثة كل أنواع المراقبة والسيطرة، إذ تبدأ تنشئة الفتاة من الجسد، وتتغير بتغيره وتغير وظائفه. ولا يتحرر هذا الجسد من المراقبة حتى بعد الزواج، إذ تظل المراقبة مرتبطة بوظيفته الانجابية، حتى أن المسؤولية الانجابية كانت إلى وقت قريب متعلقة بالمرأة وحدها، وكان الطلاق والعار مصير النساء الاتي لا ينجبن.

إن طبيعة الجسد الأنثوي البيولوجية تجعل منه جسدا مصحوبا بالخوف، إذ ترى الأنتروبولوجية الأمريكية " ايملي مارتن" أن معظم النساء يعشن نوعا من الخوف بسبب الحيض المنتظم أو احتمال الحمل، أما بشأن الولادة فهناك من النساء من تتخوف من الولادة ومن المرور بآلامها على الرغم من الرغبة في الانجاب (Martin, 2001, p. 104 ، Emily) فتنتقل المرأة من

الخوف على جسدها (فقدان البكارة، التعرض للاغتصاب...) إلى الخوف من جسدها ومن الالام التي تصاحب (الحيض، الجنس، الولادة...)، وبالتالي فإن المرأة هي سجينة جسدها بالطبيعة، خاصة وظيفتها الإنجابية.

بالإضافة إلى الجانب البيولوجي فإن القانون أيضا يقيد الجسد الانثوي عندما يتعلق الأمر بالحياة الجنسية والإنجابية للمرأة، ففي حالة الحمل غير المرغوب فيه، فإن المرأة تكون أمام خيارين، إما أن تحتفظ بالجنين وتتحمل عواقب ذلك الحمل، في حالة نتج عن علاقة جنسية خارج إطار الزواج(أم عازبة)، أو أن تجهضه في السر مع تحمل خطر الإجهاض السري صحيا وقانونيا. إذ يعاقب القانون المغربي أي جهة قامت بعملية الإجهاض أو حاولت ذلك (الفصلين 449- 458 من القانون الجنائي)، ولا يسمح بالإجهاض إلا في حالة ثبوت ضرر على صحة الأم من قبل الطبيب وبموافقة الزوج، أو بشهادة مكتوبة من الطبيب الرئيس للعمالة أو الإقليم في حالة عدم وجود الزوج أو امتناعه (الفصل 453 من القانون الجنائي). فيما لا يزال مشروع قانون إباحة الإجهاض في حالات أخرى (الحمل الناتج عن اغتصاب أو زنا المحارم، أو الحالات التي تكون فيها الحامل مصابة بمرض عقلي، أو حالات ثبوت إصابة الجنين بأمراض جينية حادة أو تشوهات خلقية خطيرة غير قابلة للعلاج) لم يتم المصادقة عليه بعد (مشروع قانون رقم 10.16).

لا تزال العقبة الرئيسية أمام المساواة بين الجنسين، تتمثل في المراقبة والسيطرة على جسد المرأة، و على نشاطها الجنسي، إذ يلاحظ أنه حتى مع تغير بعض القوانين التي يظهر أنها تخدم حقوق المرأة، لا تزال بعض الممارسات الاجتماعية التي تسعى إلى السيطرة على المرأة تتطور وتتزايد.

2. العذرية واستقلال الجسد:

مع الثورة البيولوجية سيطرأ تغييرا في الأخلاق والعقليات، وسيتم تسليط الضوء على المطالبة بحقوق وحريات جديدة للفرد على جسده. في هذا السياق العالمي، سيعرف المجتمع المغربي تغيرا على مستوى القيم منذ فترة الاستقلال حتى تسعينيات القرن العشرين، حيث شهد المجتمع المغربي

وفقا لبورقية تغيرات اجتماعية كبيرة، نتيجة التحاق عدد كبير من السكان بالتعليم، وتلقي شكل جديد من أشكال التنشئة الاجتماعية، والتأثر بوسائل الإعلام، وبداية ترسخ بعض القيم العالمية. كما تغيرت مصادر القيم، مع مرور المجتمع المغربي مند بداية التسعينات إلى يومنا هذا، بعملية إعادة تشكيل القيم (Rahma Bourqia, 2006, p. 65). ومع إعادة تشكل القيم الاجتماعية في المجتمع المغربي، سيتم إعادة تشكل التمثلات حول المرأة وجسدها ومكانتها.

مكنت البكارة الاصطناعية والتقنيات الطبية الجراحية الحديثة المرأة من تجنب المواجهة (المجتمع أو العائلة أو الزوج)، وأصبحت بذلك قادرة على التخلص من أي علامة تدل على خوضها تجارب جنسية سابقة، وبالتالي لم يعد ذلك الغشاء عائقا أمام استقلال جسدها من مراقبة وسيطرة المجتمع. كما أدى ذلك الاكتشاف إلى تغير المواقف حول العذرية، التي لم يعد تقييمها معتمدا على وجود غشاء البكارة، ومن ثم فإن الحديث عن العذرية باعتبارها رمز للشرف والعفة لم يعد له أساسا من الصحة.

في جانب آخر من جوانب استقلال الجسد الأنثوي، منح اكتشاف موانع الحمل المرأة القدرة على التحكم في الإنجاب وفي عدد الأطفال، ومكنها من اتخاذ القرار في الإنجاب أو عدمه، بما أنها تستطيع التحكم في خصوبتها. وهذا التمكين تدعمه حتى الاتفاقيات والمعاهدات الأممية، إذ تنص اتفاقية سيداو (CEDAW) ، على حرية المرأة في تقرير عدد الأطفال والفترة بين إنجاب طفل وآخر (اتفاقية سيداو المادة 16). وهذا ما يعطي للمرأة حرية اختيار الأمومة، غير أن قدرة المرأة على التحكم في الإنجاب لا يعني دائما أنها من تتخذ قرار الإنجاب من عدمه. إذ لايزال الإكراه الإنجابي للمرأة قائما إلى اليوم حسب تقرير صندوق الأمم المتحدة للسكان (صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2021).

إن استقلال الجسد الأنثوي يرتبط بسلطة المرأة على جسدها و وعييها الكامل به وبأبعاده، فقدرة المرأة اليوم على اخفاء حياتها الجنسية السابقة، بالتزوير و الغش، وقدرتها على التحكم في الإنجاب في إطار الزواج، ما هو إلا استقلال ظاهري يخفي نوعا آخرا من القيد والسيطرة

والاستغلال. خاصة وأن العديد من النساء والفتيات لا يزلن يتعرضن للتحرش أو للاعتداء الجنسي فقط لأنهن نساء ، سواء من قبل الشريك أو من شخص غريب، فيما لا تزال العديد منهن يكرهن على القيام بالإجهاض السري، وغالبا ما يتم هذا الإجهاض بدون مراعاة لصحتهن النفسية والجسدية، وبالخصوص عندما ينتمين إلى وسط فقير وهش.

وعليه فإن استقلال الجسد الأنثوي لم يعرف النور حتى مع كل مظاهر الحداثة التي يعرفها العالم و المجتمع المغربي، بل إن الحداثة كان لها دورا في ظهور قيود أخرى جديدة، إما قيود تكره على العري واستغلال هذا الجسد واستعماله كوسيلة جنسية تستعمل لغرض الإغراء والمتعة، أو لجذب المشاهدات في مواقع التواصل الاجتماعي (روتيني اليومي)، و في الإعلانات الدعائية التلفزية. أو بتحديد معايير جماله وكماله ووضعه في قالب محدد، من خلال منع اختيار ملابس محتشمة أو مريحة في بعض الأماكن والمناسبات والمهن. فسواء كان بالمنع أو بالإكراه فإن النساء لا يزلن يواجهن تحديات كبيرة في حرية الاختيار و القدرة على اتخاذ قرارات فيما يتعلق بأجسادهن.

نتائج الدراسة :

لقد ترتب عن هذه الدراسة حول موضوع العذرية الذي يتسم بالتعقيد والتركيب، نتائج يمكن اعتبارها استنتاجات عامة، باستطاعتنا إجمالها في النقاط التالية:

أولا، إن التربية الجنسية التي تتلقاها الفتيات في جانبها المعلوماتي تبقى محدودة جدا وأحيانا مغلوطة، كما أن تربية الفتاة المغربية تركز منذ الصغر على التخويف والترهيب من فقدان غشاء البكارة، وتقوم على المراقبة في مرحلة المراهقة والشباب من قبل العائلة والمجتمع، وهذا ما يفسر حرص النساء على الحفاظ على غشاء البكارة، حتى عندما يدخلن في علاقات جنسية قبل الزواج... وبالتالي فالنساء يعطين قيمة للعذرية أكثر مقارنة بالرجال، و يحرصن على المحافظة عليها إما بمعناها الديني بتجنب أي ممارسات جنسية قبل الزواج، أو بمعناها الاجتماعي التوافقي، أو يستعدنها عند وجود تجارب جنسية سابقة بالاستعانة بالعمليات الجرائية (بترميم البكارة) أو باستعمال البكارة الاصطناعية لتجنب مواجهة الزوج والعائلة.

ثانيا، إن موضوع العذرية هو مدخل من المداخل التي يمكن من خلالها فهم جنسانية الشباب في المجتمع المغربي، وهي جنسانية مركبة ومتناقضة، ذلك أن فئة من الشباب (خاصة الفتيات) لايزالون يعطون للعذرية قيمة كبيرة رغم أن منهم من يقيمون علاقات جنسية قبل الزواج، مع اخفاء تجاربهم الجنسية السابقة بطرق متعددة (البكارة الاصطناعية، رأب البكارة، العذرية التوافقية...)، و حتى الشباب الذين لا يعترفون بقيمة العذرية، غالبا ما يتجهون لممارسات جنسية ازدواجية، إما عن طريق التوافق مع الشريكة بالحفاظ على غشاء البكارة سليما، أو مساعدتها ماديا لرأب البكارة في حالة فقدانها، أو ممارسة نوع من التمييز الجنسي، إذ لا يقبلون الزواج بالفتاة التي لها تجارب جنسية سابقة رغم مرورهم بتجارب جنسية مع شريكات متعددات. فيما نجد بعض الشباب خاصة الفئة المتعلمة، يعتبرون أن هناك أشياء أهم من العذرية في العلاقة بين الرجل والمرأة كالحب والصدق والتفاهم، ولا يحرصون على توفر غشاء البكارة في الفتاة التي سيتزوجون بها، خاصة مع وعيهن بإمكانية اخفاء التجارب الجنسية السابقة للفتاة بطرق متعددة.

ثالثا، رغم مظاهر الحداثة التي تبدو على المجتمع المغربي، ورغم التغيرات التي طرأت على القوانين، لايزال جسد المرأة يخضع لسلطة العائلة أو للزوج وفي أحيانا أخرى للمجتمع. كما أن استقلال الجسد الأنثوي يرتبط في الغالب بالعري وتسليع (روتيني اليومي، العمل الجنسي...)، أو باتخاذه وسيلة إعلانية إغرائية تشجع على الاستهلاك. فالنساء في المجتمع المغربي لا يزلن يواجهن تحديات كبيرة فيما يتعلق باتخاذهن قرارات تخص أجسادهن.

خلاصة:

في ظل التغيرات التي عرفها المجتمع المغربي و العالم، وفي ظل تعدد واختلاف المصادر الأخلاقية للشباب، فإن الحياة الجنسية لدى الشباب المغربي تعرف نوعا من التناقض والتعقيد والازدواجية، إذ نجد هناك تباين بين تمثلات الشباب عن الجنس وبين سلوكاتهم وممارساتهم الجنسية. والجنسانية النسائية لا تخرج عن هذا التناقض الحاصل، خاصة عندما يتعلق الأمر بالعذرية، إذ تختلف التمثلات والمواقف التي يحملها الشباب والشابات عن العذرية باختلاف

الأشخاص، مستواهم المعرفي، سنهم، جنسهم، حالتهم الاجتماعية، والوسط الاجتماعي الذي ينتمون إليه.

إن البحث في موضوع العذرية يعد مدخلا مهما لفهم الجنسانية في المجتمع المغربي، إذ لاتزال هذه المواضيع "الطابو" و"الحشومة" محاطة بتناقضات عديدة. هذه التناقضات التي تجعل من البحث في أي موضوع في مجال الجنسانية أمرا بالغ الصعوبة والتعقيد. لذلك فإن الباحثين في السوسيولوجيا والأنتربولوجيا مطالبين اليوم بتحدي هذه الصعوبات و البحث بحدية في الموضوع بجوانبه المختلفة لفهم تعقيداته وخباياه، خاصة مع التغيرات السريعة التي تعرفها الجنسانية في المجتمع المغربي و في العالم ككل.

قائمة المراجع:

1. القران الكريم.
2. الأمم المتحدة(1979)، اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW).
3. زينب معادي (2004)، الجسد الأنثوي وحلم التنمية، إنها امرأة تذوب، نشر الفنك، الدار البيضاء، المغرب.
4. سمية نعمان جسوس(2011)، بلا حشومة، الجنسانية النسائية في المغرب، ترجمة عبد الرحيم حزل، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب.
5. صندوق الأمم المتحدة للسكان(2021)، تقرير حالة سكان العالم 2021، المطالبة بالحق في الاستقلال الذاتي وتقرير المصير.
6. عبد الصمد الديالمي (1985)، المرأة والجنس في المغرب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب.
7. عبد الصمد الديالمي (2011)، سوسيولوجيا الجنسانة العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر و رابطة العقلانيين العرب، الطبعة الأولى ، بيروت، لبنان.
8. عبد الصمد الديالمي (2015)، الانتقال الجنسي في المغرب: نحو الحق في الجنس في النسب والإجهاض، ، دار الامان الرباط، المغرب.

9. عبد الوهاب بوحديبة (2001)، الإسلام والجنس، الطبعة الثانية، ترجمة وتعليق: هالة العوري، مكتبة المدبولي، القاهرة، مصر.

10. عزيز مشواط وأخرون (2021)، الحريات الفردية بالمغرب تمثلات وممارسات، منصات للأبحاث والدراسات الاجتماعية، جيل (شباب، تأثير، ريادة)، الدار البيضاء، المغرب.

11. فاطمة المرنيسي (1982)، السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأسمالي تبعي، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، دار الحداثة، بيروت، لبنان.

12. فاطمة المرنيسي (2005)، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، الطبعة الرابعة. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

13. فريد الزاهي (1999)، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

14. فوزي بوخريص (2016)، المرأة في خطاب العلوم الاجتماعية، من متغير الجنس إلى سؤال النوع، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

15. القانون الجنائي المغربي.

16. مشروع قانون رقم 10.16 الذي يقضي بتغيير وتتميم مجموعة القانون الجنائي.

17. ميشال فوكو (2012)، تاريخ الجنسانية 2 استعمال المتع، ترجمة محمد هشام، إفريقيا الشرق، المغرب.

18. Giulia Sissa (1984), Une virginité sans hymen : le corps féminin en Grèce ancienne. In: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations. 39e année, N. 6.

19. Giulia sissa (1987), Le corps virginal, la virginité féminine en Grèce ancienne, paris, libraire philosophique j. Vrin 6, place de la sorbonne .

20. Giulia Sissa (2013), The hymen is a problem, still. Virginity, Imperforation, and Contraception, from Greece to Rome, EuGeStA , n°3.

21. Jean Chrysostome (1966), La Virginité. Texte et introduction critique par Herbert Musurillo. Introduction générale; traduction et notes par Bernard Grillet, les édition du cerf, 29, BD de latour-maubouro, paris.

22. Jean Michel Berthelot (1998), Le corps contemporain: Figures et structures de la corporéité, Recherches sociologiques.
23. Kuo-jung Chen (2010) ,The Concept of Virginity and Its Representations in Eighteenth-Century English Literature, Wenshan Review of Literature and Culture. Vol 3.2.
24. Martin Emily (2001), The Woman in the Body A Cultural Analysis of Reproduction, Deacon Press, America.
25. Michel bozon (2013), sociologie de la sexualité, armand colin , paris.
26. philippe brenot (1996), L' éducation à la sexualité ,PUF, Paris.
27. Rahma Bourqia (2006), Les valeurs Changements et perspectives, Collection ONDH, Maroc.
28. Sigmund Freud (1933), Le tabou de la virginité, Date de publication sur Atramenta : 10 mars 2011 à 13h29,Dernière modification : 5 novembre 2015 à 11h33.
29. Yvonne Knibiehler (2012), La Virginité féminine : mythes, fantasmes, émancipation, Odile Jacob, Paris.